ما هي أداة مواجهة الأزمات المستقبلية في منظماتنا؟

د. فادي محمد الدحدوح
خبير في البحث العلمي والدراسات

تتسارع الأحداث التي تشهدها بيئة المنظمات العالمية مما ينعكس على ظروف المنظمات العربية التي تشهد العديد من الأزمات المتتابعة، حيث أصبحت المنافسة تمارس ضغطها على المنظمات في جميع الميادين، وفي ظل الظروف المعقدة تعمل المنظمات جاهدة من أجل التحكم الجيد في المعلومات واستعمالها بالطريقة الذكية لتحسين جودة خدماتها، والعمل على معرفة البيئة التنافسية وآليات عملها، وتحسين وضعها وفقاً لتلك الظروف.

يمكن لأي منظمة عربية ترغب في أن تدخل ركب السباق الحضاري الفاعل وتحقيق نهضة تنموية شاملة أن تكون رائدة في مجال نشاطها من خلال أداة "اليقظة الاستراتيجية"، التي تعد الأحدث من أجل أساليب جديدة للوصول إلى المعلومة الاستراتيجية في ظل التحولات المتسارعة التي تتسم بالاضطراب والتعقيد وعدم التأكد لتحقيق أهداف محددة طويلة الأجل من الأنشطة التي تحتاج الإبداع، وذلك حتى يتمكن عنصر الاستراتيجية من تكوين رؤية فاعلة عن مستقبل متطور بمتغيراته التي لم تحدث بعد.

تلك هي أهم ملامح المتغيرات في عالمنا المعاصر والتي تمثل التحديات التي واجهت وما زالت تواجه منظماتنا في المستقبل، كما أن لها تأثير واضحاً على جميع السياسات والأنشطة المختلفة، وسوف تتوقف قدرة منظماتنا العربية في مواجهة أزمات وتحديات القرن الحادي والعشرين على مدى تبينها للسياسات التي تجعلها قادرة على مواجهة والتعامل مع هذه المتغيرات.

إن العمل بمنظومة أداة اليقظة الاستراتيجية يأخذ اهتماماً خاصاً على المستوى العالمي فيقصد باليقظة ذلك التصنت الدائم للتغيرات الحاصلة في جميع الميادين، قصد التصرف بشكل مسبق، فعوض على أن تقوم المؤسسة برد الفعل، فإنها هي التي تدفع إلى التغيير، بحيث تكون طرفاً فيه، من هنا أصبح لزاماً على المنظمات العربية مسايرة نسق التكنولوجيات الحديثة للمعلومات والاتصال الذي يشهد تطوراً متواصلاً ويهدف إلى ضمان ديمومة المنظمات ودعم قدرتها على مزاحمة المؤسسات الأجنبية التي تتميز بتنافسية متنامية.

لقد أصبحت المنظمات العربية مدعوة إلى وضع آليات لليقظة الاستراتيجية تمكنها من استباق المؤشرات الخاصة بمحيطها بهدف اقتناص الفرص قبل المنافسين والاستثمار في الوقت المناسب واستقطاب الشركاء والمحافظة عليهم من خلال اكتساب تنافسية أكبر.

إن أداة اليقظة الاستراتيجية ترتكز على المعلومات الاستراتيجية، يعني كل الأفعال الهادفة للرصد المستمر، أو غير المستمر، مهما كانت درجة قوتها أو ضعفها القابلة لاحتوائها معلومات ذات معنى للمنظمة في ميدان استراتيجي معين، فهي أسلوب منظم، في الإدارة الاستراتيجية، تركز على إدارة المعلومات ودعم القرار من أجل تنمية وتطوير المنظمة وضمان بقائها، ويشمل مفهوم اليقظة الاستراتيجية تعبيراً شاملاً عن اليقظة والتي تتكون من عدة أنواع متكاملة تمثل اليقظة الشاملة على المحيط الكلي والجزئي للمنظمة، حيث تعطي اليقظة الاستراتيجية القدرة على التصرف بسرعة وفي الوقت المناسب مع أكبر قدر من الفعالية، وأقل قدر ممكن من الوسائل، مساهمة منها في تحقيق وتحسين تنافسيتها الدائمة.

وبالتالي فاليقظة الاستراتيجية تساعد على أخذ القرارات الاستراتيجية وعلى تنبؤ تهديدات العمل، والتحسن بمختلف تطورات القطاع وذلك على المدى الطويل والقصير، ومن أهداف اليقظة الاستراتيجية التعرف على المعلومات التي تخص متخذي القرار في المنظمة بعد تجميعها، وينبغي التفطن لمقوماتها والوفاء بها على نحو متكامل.

يقتضى وضع أداة اليقظة الاستراتيجية إنشاء ذكاء جماعي في المنظمة، ويعني الذكاء الجماعي وجود مجموعة من الأفراد، تقوم بملاحظات الإشارات في المحيط، اختيارها وتفعيلها ومقارنتها لإعطاءها معنى معين، والذي يمثل هدف العمل الجماعي حيث يكون بمقتضاه أعضاء المجموعة أو الفريق في اتصال وتفاعل في ظل كل الأشكال الملائمة، مع عدم تجاوز واحترام القواعد السلوكية لعمل المجموعة.

أيضا يجب النظر لمقوم آخر كإنشاء الإبداع حيث تتضمن اليقظة الاستراتيجية مع الأخذ بعين الاعتبار خصائص المعلومات تفسيرات إشارات الإنذار المبكرة والتي ترتبط بعنصر الإبداع، فالمعلومات المعنية التي هي بصدد التقصي عنها، لا تصف أياً من الأحداث والأعمال المنفذة سابق، ولكنها تسمح بصياغة الفرضيات وإنشاء رؤية تطوعية إرادية.

المقوم الأخير وهو التوقع يؤكد تعريف اليقظة الاستراتيجية عملية التوقع وكشف التغيرات، لاسيما الانقطاعات المحتملة، والتي يمكن أن تحدث في المحيط المرتبط بالمنظمة، فهي المعلومات التي تمتلك بنفسها على المميزات

التنبؤية، بحيث يجب أن تقوم بالتزويد بالتوضيحات كإضافة عن المستقبل، وليس من المهم أن تعبر عن الماضي أو الحاضر.

إن قيادة منظماتنا فشلت في إدارة الأزمات والتحديات الراهنة لأنها لم تعمل وفق منظومة اليقظة الاستراتيجية، فكلما كان هناك تنبؤ واستعمال لهذه الأداة الفعالة وفق استراتيجية فاعلة نستطيع تجنب الأزمات؛ لذا أصبح لزاماً على منظماتنا العربية تطبيق هذه الأداة وبشكل فوري منذ الآن، لأجل بيئة صحية متنامية وضمان ديمومة منظماتنا ودعم قدرتها في صنع القرارات الرشيدة.

آهات الشباب العربي وصناع القرار ينعمون بعوالم الحاضر والمستقبل.. ؟!

يحضرني قول أحد الحكماء الصينيين في القرن الثالث قبل الميلاد: "إذا وضعتم مشاريع سنوية فازرعوا القمح. وإذا كانت لكم مشاريع لعقد من الزمان فاغرسوا الأشجار. أما إذا كانت مشاريعكم للحياة بكاملها فما عليكم إلا أن تثقفوا وتعلموا وتنشئوا الإنسان".. إنها الحقيقة الغائبة أو تلك الحقيقة التي وضعت في غياهب العتمة لدى صناع القرار العربي..!!، لوجود استثمارات وحسابات مختلفة عن تلك الحكمة التي تنشدها الأمم المتقدمة وتواصل ليل بنهار من أجل الرفاهية ومستقبل الشباب لديها.

في فضاءات المجتمعات العربية؛ قد نعترض بطريقنا بين كل مسلك لا سيما من أرهقها الألم والوجع.. هذه فلسطين، وتلك سوريا.. وعن العراق نتحدث، وبين أحضان تونس نكتب، ومن رحاب اليمن نتوجع.. وليبيا نرسم.. وآفاق الوطن العربي نشدو لحن الألم والأمل للشباب، بين تلك اللافتات تمر ربما دون اكتراث لها، لكنها ولا شك، تترك أسئلة «عميقة» في الذهن، حول هذا الواقع الكارثي..! إن هذا الصراع يؤدي بالشباب إلى اضطراب هويته مما يؤثر على سلوكه وأفكاره ويصل به إلى حالة من الاضطراب النسقي والقيمي.

إنها آهات متعاظمة متجددة تتواصل بعمق مع واقع مرير ذلك الذي يعيشه الشباب في كثير من المجتمعات العربية؛ حيث يكبر الشباب العربي وهو يخوض صراعاً صعباً بين أحلامه وبين الواقع، ومستقبل لم تشرق شمسه بعد، يريد هذا الجيل الذي أعد أحد فئاته أن يصنع شيئاً يغيّر فيه وجه العالم، يريد أن يبدع ويتميز ويعيد أمجاد أجداده، ولكنه يرى نفسه محاطاً في صراعٍ أصعب بين أن يجد لقمة عيشه ومنزلاً يؤويه هو وأحلامه، أو بين أن يركز على نقاط قوته وإبداعه ويعلم نفسه ويغذي عقله.

بدأت شمس ٢٠١٩م وفي بلداننا العربية؛ يعيش شبابنا العربي بشكل عام ظروفاً متناهية الألم والوجع في جميع المجالات، وهو يتابع تلك الصراعات الدائرة في كافة جنبات الوطن، وهو بعد لم يتسلح بمنطق يهديه، أو خبرة تعصمه، وإنما هي توترات دينية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وحروب أهلية، وانقسامات سياسية، وما

تحمله من ملوثات على فكر وثقافة المجتمع، هذا ما دفع الكثير من الشباب العربي إلى طريق الهجرة بعيداً عن أوطانهم بحثاً عن مجتمع يؤمن بشباب ويدعمهم ويستثمر قدراتهم وينمي مواهبهم ويطور إبداعهم هاجرين خلفهم أوطانهم التي لا تهتم لهم ولا تسمع منهم ولا تطورهم أو تدربهم ولا تبحث عن المبدعين بينهم.

إن قيادة الأمة وإداراتها المتعددة، وحب المسميات والتصارع نحو المراكز الإدارية العليا بمؤسساتنا العربية يتطلب وقف هذا النزيف القاتل الذي يقتل روح الإبداع والحق وإعطاء الحقوق لأهلها، إن مستقبل الأمة العربية مرهون بطاقات الشباب ومجدهم المشرق، ولهذا يجب النهوض فوراً من هذا الظلام القاتم وبعثرة مقدرات الأمة وخيراتها، والسير بالطريق دون دليل مرشد يبعث حتى ولو القليل من الأمة لكل فئات المجتمعات العربية.

لا بد من العناية بحاضر الشباب ومستقبلهم، وقيادة المستقبل من خلالهم، لنرى بقعة ضوء وأمل قادم مع بداية عام ٢٠١٩م، ليبعث الشباب من آهاتهم لينطلقوا في سبيل تحقيق النهضة والتغيير الشامل وبث روح الأمل والضياء وتجديد مجد الأمة وثرواتها.

آن الآوان لصناع القرار وقيادة الأمة ليعطى الشباب العربي حقه في القيادات السياسية والاجتماعية والمدنية، وأن يحصل على اهتمام لينمي مجالات الإبداع في داخله.. لقد آن كذلك الآوان للقضاء على الظلم والفساد بشتى مجالاته وأنواعه ودوائره؛ لإعداد جيل يمكن أن يكون أملاً لنا لننهض من جديد، وعودتنا لنتصدر دول العالم بالتطور والإبداع.

أما آن لقيادة استراتيجية..؟!

إن الظروف العاصفة بالمجتمعات العربية والإسلامية تكاد تكون فوق الوصف، فوق الكلمات، فوق الألم والجراح.. سيل عاصف من الأمواج الصاخبة تتدفق نحو المجتمعات العربية والإسلامية، إنهيارات كبيرات، أزمات محكمة، كوارث كبيرة تطال الأفراد والمؤسسات والركيزة الأساسية للقيم والبناء.

من هنا يكاد يرى البعض أن لا مخرج من هذا الظلام، وأن القيادة والأفراد قد طمست ولا مفر من الانهيارات المتتابعة للمجتمعات، من هنا تأتي نافذة الضوء الأكيدة التي يجب استثمارها استثمار شجاعة الأسود في ساحات الحرب.. إنها القيادة الاستراتيجية مصدر الابتكارات والريادة الحقيقية، والإبداع وتحقيق الأهداف المنشودة.

ومن هذا المنطلق يجب على مؤسساتنا الأكاديمية أن تحرص على بناء القائد الاستراتيجي، وعلى الدولة وأركانها أن تؤسس لمرحلة القيادة الاستراتيجية، والعمل لاستقطاب الكفاءات الإدارية المبدعة وتنمية قدراتهم لمواجهة

المشكلات في الظروف الطارئة ومواجهة التحديات المستقبلية بتفكير إبداعي ورؤية مستقبلية تأخذ في حسبانها التغيرات المحيطة بما يمنح المجتمعات القدرة على تحديد أهدافها المستقبلية، ومجالات نموها وانتشارها.

القيادة الاستراتيجية هي العنصر القادر على ادخال واحداث التغيير والتطوير في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ويعود للقيادة الاستراتيجية السبب في تفوق المجتمعات الاخرى على أخرى وذلك كونها تفهم مغزى الأحداث دون التأثر بظواهر الامور، ولديها القدرة على إنجاز القرارات بالسرعة الممكنة دون أن يمنعهم الخطر المتوقع.

إن القيادة الاستراتيجية تتطلب مستويات عالية من إعمال التفكير العقلي المنظم والتضحيات ومشاركة أفراد المجتمع في تحقيق الأهداف المهمة والقيم المشتركة وتستخدم الالهام والرؤى المشتركة، والقيم لرفع القائد والفرد إلى مستويات التفكير والتحفيز والروح المعنوية من خلال دفع الأفراد إلى مضاعفة جهودهم لتحقيق الأهداف المشتركة.

ويركز القادة الاستراتيجيون على إدارة التعيير الجذري من خلال التحكم في التعلم المستمر للأفراد والجماعات عن طريق اجراء التجارب والمجازفة والتغيير، ومن ناحية أخرى فإن القادة الاستراتيجيون يسعون إلى تشجيع الثقافة المفتوحة والبنى العضوية والنظم القابلة للتكيف والإجراءات المرنة وهذه صفات تسهل تطبيق التغيير، وتنمي التعلم.

وأخيراً إن مهام القائد الاستراتيجي ليست بالسهلة في ظل الظلام الشديد الذي يعصف بالمجتمعات العربية والإسلامية، لا بد من التخطيط ووضع البرامج والسياسات المستقبلية ورسم السيناريوهات والتكتيكات لمشاكل قد تحدث وتصميم أساليب العمل، وهذا بدوره يحتاج لقيادة استراتيجية تتمتع بدرجة كبيرة من الخبرة والابداع والرؤية المستقبلية وتشارك المرؤوسين وتمارس عملية القيادة بكافة جوانبها الانسانية والعملية.

مسك الختام: من الضروري تأمين قادة استراتيجيين على مستوى المجتمعات العربية لديهم من القدرة في صياغة وتنفيذ الاستراتيجيات التي تمكن من تحقيق النتائج المرجوة والتغلب على الظلام الشديد الذي يعصف بكل أركان المجتمعات والأفراد؛ حيث يعتبر ذلك من العوامل المهمة في العودة للنهضة المجتمعية والريادة العالمية للأمة العربية والإسلامية.